



أكّدت مصادر شيعية سورية لـ«الشرق الأوسط» تدخل حزب الله اللبناني وإيران في الأزمة السورية من أجل «حماية» القرى والبلدات الشيعية والمقامات الدينية التي يتعرض لها «التكفيريون». وكشفت المصادر عن وجود «مراكز تدريب للحزب في البقاع اللبناني تقوم بتدريب شبان من الشيعة السوريين على القتال، ودفع رواتب لهم للقتال في سوريا». ويؤكد معارضون سوريون أن أعداد هؤلاء تقارب 1500 عنصر، ومثلهم من الإيرانيين يساعدون النظام في إدارة المعركة، معتبرين أن الكلام عن 5 آلاف عنصر مبالغ فيه.

ومنذ أن اندلعت الأزمة السورية، وتحولها إلى «العسكرة»، ارتفع منسوب الكلام عن مشاركة حزب الله في القتال إلى جانب النظام السوري، من منطلق الترابط الاستراتيجي بين الحزب والنظام السوري الذي يعتبر الشريان الحيوي الذي يوصل المساعدات الإيرانية (على أنواعها) إلى الحزب في لبنان. وعلى الرغم من أن السياسيين اللبنانيين يتحدثون عن امتناع الحزب عن الانصياع لرغبة النظام بتفجير الساحة اللبنانية لتخفيف الضغط عنه، فإن هؤلاء أنفسهم ينتقدون انغماس الحزب في دعم النظام على حساب الشعب، بينما لا يكاد يخلو تصريح لقادة الجيش السوري الحر من الإشارة إلى دعم الحزب ومشاركته النظام في «قتل الشعب السوري».

ويعتبر الخبير الاستراتيجي اللبناني العميد المتقاعد نزار عبد القادر، أن مشاركة حزب الله في القتال في سوريا لم تعد سرا على أحد، لافتا إلى أنه، وعلى الرغم من المعلومات التي تم تناقلها منذ أشهر حول هذا الأمر، بقي الشك موجودا، إلى أن اعترف أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله بهذا الأمر بنفسه، عازيا ذلك إلى التداخل السكاني والجغرافي في المناطق الحدودية بين لبنان وسوريا في شمال البقاع ومحافظة حمص. وقال لـ«الشرق الأوسط»: «لا يمكن القبول بهذا السبب الذي يقدمه نصر الله بهذه البساطة، لأن، وكما نعلم، الحزب الذي كان داعما لكل الثورات العربية تنكر للثورة السورية بسبب ارتباطه مع النظام السوري الذي يدعمه بالسلاح، ومن خلال العمق الاستراتيجي السوري في حربه ضد إسرائيل»، مضيفا:

«أعتقد أنه، وفي ظل إصرار الرئيس بشار الأسد على استكمال الجسم العسكري، وبذلك كل ما يمكن لديه للبقاء في السلطة، من الطبيعي أن حزب الله سيتوتر أكثر فأكثر في المعركة إلى جانب حليفه، وليس بعيداً أن تأخذ عملياته الطابع العلني وتولي بعض المهام لحماية النظام في العاصمة السورية». وتخوف عبد القادر من قيام حزب الله ببعض العمليات ضد معارضين سوريين، في حال وجودهم في لبنان، واصفاً ما يقوم به حزب الله اليوم بـ«الورقة الخطيرة التي يلعبها الحزب»، لكن لا مفرّ له من أن يلعبها حتى النهاية.

ليس من السهل الكلام مع مسؤولي حزب الله عن موضوع «تدخل» الحزب لوجيستياً في الأزمة السورية. لكن الحزب الذي كان يصف في البداية هذه المزاعم بأنها «مضحكة» عاد ليلتزم سقف «الخطاب الرسمي»، الذي أدلّى به أمينه العام السيد حسن نصر الله، الذي قال فيه إن هؤلاء «لبنانيون يعيشون في سوريا ويدافعون عن قراهم».

لكن «الحاج»، أحد مسؤولي الحزب في البقاع اللبناني يقول إن الحزب يدافع عن منطقة لبنانية، هي «الجزء اللبناني» من بلدة القصیر الحدودية. ويقول «الحاج» الذي فضل الإشارة إلى نفسه بهذا الاسم لـ«الشرق الأوسط» إن قسماً من هذه البلدة يقع داخل الأراضي اللبنانية، وهم يتعرضون إلى هجمات من قبل المعارضة السورية، مشيراً إلى أن «مسؤولي الرصد» في الحزب استطاعوا تسجيل مكالمة بين معارضين مسلحين يخططون فيها لمحاجمة البلدة وقتل الرجال وأسر النساء، فكمّلوا لهم وأوقعوا في صفوهم خسائر كبيرة جداً، بينما سقط لنا شاب كان يدافع عن المنطقة. وبوضوح أن الوضع في تلك المنطقة تحول الآن إلى ما يشبه خطوط التماس بين الجانبيين.

وتشكل الأزمة السورية هاجساً كبيراً لدى الحزب، لكن «الحاج» يؤكد أن الحزب مرتاح إلى المستقبل؛ فإذا انتصر النظام استمر الحال كما كان سابقاً، وإذا سقط فإن هذا سوف يعد من «علامات الظهور المنصوص عليها (في الروايات الشيعية) عن خروج الإمام المهدى». ويعتبر هذا الكلام امتداد للتعبئة الأيديولوجية الموجود لدى الحزب، إذ تتحدث الروايات الشيعية عن «ظهور السفياني في الشام (سوريا) وتنكيله بالشيعة قبل ظهور المهدى». ويورد «الحاج» رواية عن «لعبة الصبيان» يقول إنها منسوبة إلى علماء السنة والشيعة، مفاده « تكون فتنة كأن أولها لعب الصبيان كلما سكنت من جانب طمت من جانب فلا تنتهي حتى ينادي مناد من السماء ألا إن الأمير فلان، وقتل ابن المسيب يديه حتى أنهما لينفخان، فقال: ذلّكم الأمير حقا (ثلاث مرات)».

ويشير «الحاج» إلى أن هذا الكلام يعزّزه بـ«المشكلات» في سوريا عبر صبيان كتبوا على الجدران، بالإضافة إلى امتداد هذه الأزمة.

ويقول مسؤول لبناني معارض إن حزب الله يتدخل فعلياً في الحرب السورية، مشيراً إلى أن المعلومات المتوفرة لديه تشير إلى أن الحزب تكفل بمراقبة جزء من الحدود اللبنانية السورية لمنع تحرك المعارضين في الاتجاهين، وهو ما يفسر تراجع نشاط المعارضة السورية في تلك المنطقة، موضحاً أن مراقب مدفوعة وراجمات الصواريخ التابعة للحزب في الأراضي اللبنانية تشارك بفعالية كبيرة في المعركة، بينما يتحدث معارضون سوريون عن قصف من الأراضي اللبنانية (منطقة حوش السيد علي) وقرية زينة (سكانها من الطائفية الشيعية) بالصواريخ على بساتين القصیر وريف القصیر الغربي (النهرية - الازنية - أبو حوري).

وبينما يشكّ خبراء عسكريون في إمكانية دخول حزب الله في المعركة إلى جانب النظام بشكل سافر، فإن هؤلاء لا يخفون شكوكهم حول تقديم الحزب «مساعدة تقنية» للنظام، لجهة المشاركة في غرف العمليات المخصصة لإدارة المعركة، علماً بأن مسؤولي الحزب يتحركون بشكل كبير عبر الحدود.

لكن الجديد في هذا الخصوص، هو معلومات أكدتها شيعة سوريون لـ«الشرق الأوسط» عن وجود للحزب في المناطق التي يسكنها الشيعة في سوريا، بالإضافة إلى مساهمة واضحة للحزب في حماية مرقد «السيدة زينب» المشهور في ضواحي دمشق، وللتدليل على ذلك وزع معارضون سوريون صوراً لسيارة تحمل رقماً ليبانياً عليها ملصق فيه صورة لشاب كتب تحتها أنه «سقط دفاعاً عن مقام السيدة زينب»، قالوا إنها صورت في الضاحية الجنوبية لمدينة بيروت التي تقع تحت نفوذ حزب الله.

وأكّد فهد المصري، مسؤول الإعلام في الجيش الحر، لـ«الشرق الأوسط» أنه «منذ أسبوعين تقريباً، أرسل حزب الله إلى جبل القلمون عشرات العناصر»، لافتاً أيضاً إلى أن عناصر حزب الله منتشرون بشكل رئيسي في الزبداني وريف حمص، وتحديداً في مدينة «دبلة» المسيحية إلى جانب الشبيحة من النظام، لافتاً إلى أن الأيام المقبلة ستشهد معارك فاصلة بين حزب الله والجيش الحر في هذه المناطق.

واعتبر المصري أن القول بدخول 5 آلاف عنصر من حزب الله أخيراً إلى سوريا مبالغ فيه، مشيراً أيضاً إلى أن وجود هؤلاء في العاصمة محدود، ويقتصر على موقع وأماكن محددة، مؤكداً أنهم يتولون مهمة حراسة مقام السيدة زينب في دمشق.

وقال أحمد، إن شقيقه عباس وهو سوري من بلدة نبل في ريف حلب قد التحق بمركز تدريب للحزب في البقاع اللبناني مع عدد من أبناء البلدة، وبلدات شيعية أخرى في المنطقة ليتربّع على سبل الدفاع عن أهله. وأشار إلى أن الشبان ينقلون إلى دمشق بالسيارة ومنها إلى حلب بالطائرات، ليصار بعدها إلى نقلهم عبر المروحيات العسكرية إلى البلدات التي يفترض بهم الدفاع عنها. ويدافع أحمد، الذي يعمل في بيروت عن ما يقوم به هؤلاء، مؤكداً أن شقيقه «كغيره من الشبان يقومون بذلك مضطرين بسبب هجمات (المجموعات التكفيرية) التي تستهدف البلدات والقرى الشيعية في سوريا»، مشيراً إلى أن هؤلاء الشبان يتقاضون رواتب جيدة «للتعويض عن انقطاع أعمالهم»، كاشفاً عن وجود خبراء إيرانيين أيضاً يساهمون في هذا المجهود.

ولا يوجد معلومات دقيقة عن عدد الشيعة في سوريا، لكن تقريراً أعدته وزارة الخارجية الأمريكية حول «الحربات الدينية» في عام 2010 يشير إلى أن نسبتهم تبلغ نحو 2.5 في المائة من عدد السوريين، وهم يتألفون من الشيعة الاثني عشرية والإسماعيلية والزيدية. وفي حين يتركز وجود «الإسماعيليين» في ريف حماه وفي مدينة السلمية تحديداً. يتركز وجود الشيعة السوريون من المذهب الاثني عشرى في محافظة إدلب، وأكبرها الفوعة، وكذلك في بعض قرى حمص وحلب مثل الزهراء ونبل التي تعد أكبر تجمع للشيعة الاثني عشرية في سوريا حيث يبلغ تعداد سكانها 30 ألف نسمة. ويوجد الشيعة السوريون في دمشق في حيي الأمين والجورة في دمشق القديمة، بالإضافة إلى وجودهم في محيط «السيدة زينب». ويقول أحمد إن الإيرانيين يقدمون المال والسلاح لنصرة أبناء الطائفة الشيعية «المهددة من قبل التكفيريين»، موضحاً أن هذا «أقل الواجب» من قبل الحزب وإيران.

بدوره، أفاد ضابط منشق لـ«الشرق الأوسط» بأن هناك معلومات مؤكدة تفيد بأن عناصر من حزب الله وخبراء إيرانيين يوجدون في دمشق ويعقيمون فيها كبار في مجال الإعلام والأمن، ويتربّدون على المؤسسات الإعلامية وعلى الأجهزة الأمنية، ويتنقلون في سيارات ضخمة ذات زجاج أسود داكن، ويساركون في التخطيط وإدارة العمليات العسكرية، ومنهم من يقطن في كفرسوسة. وذكر الضابط الذي رفض الكشف عن اسمه، أنه وعندما ارتكب النظام مجزرة الحولة وانتظر حينها يوماً حتى يصدر تعليقه على الأمر، تدخل الخبراء الإيرانيون الموجوّدون في وزارة الداخلية مستنكرين الوضع، ومتهمين تصرّف وزير الإعلام آنذاك، عدنان محمود، معتبرين أنه كان عليه أن يقول إن العصابات المسلحة ارتكبت

المجزرة، الأمر الذي أدى إلى استبدال الوزير الحالي عمران الرعبي به.

ويؤكّد العقيد عارف الحمود، رئيس عمليات شهداء سوريا في الجيش الحر، أن لحزب الله مشاركة فعالة على أرض المعركة في سوريا، ويقول لـ«الشرق الأوسط»: «قياديون من الحزب يتولون مهمة تدريب عناصر النظام وضباطه، لا سيما من القوات الخاصة والمخابرات العسكرية والجوية، ويتركز وجودهم في منطقة الدريج بريف دمشق في (مدرسة الصاعقة والمظلات) حيث يخضعون لتدريبات تترواح مدتتها بين 3 و4 أسابيع»، لافتا إلى أن هذه المعلومات أكدتها ضباط انشقوا أخيرا عن النظام.

ولفت الضابط إلى أن هناك بعض الجثث لعناصر من حزب الله لدى الجيش الحر الذي يبادله بهم عناصر معتقلين لدى النظام السوري، وهذا ما حصل عندما قتل القائد «أبو العباس» مع 15 عنصرا آخرين منذ شهرين تقريبا، وتم تشيعه في لبنان، مؤكدا في الوقت عينه أن هناك قائدا آخر لا يزال موجودا لدى الجيش الحر، بعدما تم اعتقاله في منطقة السيدة زينب حيث يوجد عناصر الحزب بشكل كبير.

المصادر: